في علاقة البلاغة بالخطاب السياسي بحث في الهوية والخصائص

الباحث: حسين البعطاوي

جامعة السلطان مولاي سليمان ـ المملكة المغربية

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على أهم الخصائص التي يقوم عليها الخطاب السياسي، وكذا علاقته بالسلطة وما يحتويه من مقومات تجعل منه النشاط الأكثر تأثيرا وإقناعا في المستمَعين، وتحريك عواطفهم، بغية تحقيق مصالح سياسية. ولتحقيق هذه المصالح، فهو يقوم على استراتيجيات خطابية منها استراتيجية الإيتوس، والباتوس، واللوغوس.

الكلمات المفاتيح: البلاغة؛ السلطة؛ الخطاب السياسي؛ الإيديولوجيا؛ اللغة.

In the relationship of rhetoric to political discourse, research on identity and characteristics

Abstract:

This study aims to identify the most important characteristics of the political discourse, as well as its relation to authority and its components, which make it the most influential and persuasive activity in the audience, and the movement of their emotions, in order to achieve political interests. To achieve these interests, It Is based on rhetorical strategies, including the strategy of the Atos, the Patos, and the logos .

Key words: rhetoric; authority; political discourse; ideology; language .

المبحث الأول: الخطاب السياسي: مفهومه وخصائصه

لكل شيء هوية: وهوية الخطاب السياسي شأنه في ذلك شأن باقي الميادين الأخرى التي تتأسس عليها المعرفة الإنسانية. فما هو الخطاب السياسي...؟.

عُرِف النشاط السياسي منذ القدم، وقد كان هذا الصنف من الخطابات جزءا لا يتجزأ من الحياة العامة للأثينيين القدماء؛ وذلك عندما حظي بالعناية من قبل أرسطو وبتقسيمه الثلاثي الأضلاع المشهور للخطابة: مشوري، مشاجري، تثبيتي. ومنذ ذلك الحين إلى حد الآن اعتبر الشغل الشاغل لدى كل المجتمعات؛ فلا حياة تستقيم وتستمر بدون سياسة تنظر في حياة العامة (الراهنة)، لتنظر إلى الغد (المستقبل) من أجل السهر على القيم المشتركة للرعية.

تاريخ إيداع البحث: 15 فبراير 2019.

تاريخ قبول البحث: 29 ماي 2019.

وَبالعودة إلى التقسيم الثلاثي للخطابة عند أرسطو، نجد أن الخطابة المشاجرية (القضائية) تجعل من الثنائية الضدية العدل/ الظلم موضوعا، ومن الحاضر زمنا لها. أما الخطابة التثبيتية (الاحتفالية) فهي تنظر إلى المدح التقابل بين المدح والذم كموضوع ومن الحاضر زمنا. في حين خصصت الخطابة المشورية (الاستشارية) للخير والشر، وهي تنظر على خلاف السابقتين في الزمن والحاضر معا. "والأجناس الخطبية عددها ثلاثة، لأنه لا يوجد إلا ثلاثة أنواع من المستمعين. وينبغي أن نميز في كل خطاب ثلاث عناصر مكونة أساسية، من يتكلم والموضوع الذي يقع فيه الكلام، والذي يوجه إليه الكلام (...) لكن يجب بالضرورة أن يكون المستمع إما مشاهدا وإما قاضيا. والقاضي أو الحاكم إما أن يكون حاكما على الماضي، أو على المستقبل والذي يحكم على أمور الماضي هو القاضي. والذي يحكم على موهبة الخطيب ومقدرته هو المشاهد وإذن يجب أن تكون هناك ثلاثة أجناس من الأقاويل الخطابية؛ المشورية والقضائية. والإثباتية الحكيمة. وفي كل مشاورة فنحن تارة نرشد وننصح، وتارة نمنع ونثني عن الفعل" [1].

يبدو إذن أن الخطابة السياسية تنظر في أحوال العامة المستقبلية، من خلال فعل التشاور والحوار، حوار مبني على التأثير والإقناع، إقناع جمهور ما بأن هذا الفعل هو أنسب وأحق من ذاك. أو لنقل بعبارة أخرى بأن الخطاب السياسي هو عمل قصدي لتنظيم الحياة اليومية للمجتمع، وما دام أنه عمل قصدي في ذاته فإنه يقوم على اللغة بكل أبعادها بُغية الوصول إلى القصدية.

يعرف كونستانتين سالفاسترو (Constantin Salvastru) الخطاب السياسي بأنه: "شكل من أشكال الخطاب بواسطته يمكن للمتكلم (فردي أو جماعي) الاستحواذ والنفاذ لخطاب السلطة ضد أطراف سياسية أخرى مجموعات أو أفراد" [2]، ويبدو أن التعريف الذي قدمه عماد عبد اللطيف للخطاب السياسي وهو يشبهه بالمسرح حيث اللغة والإشارة والديكور، والملابس، والإكسسوار المزين لجنباته، وهتافات الجمهور وانفعالاتهم، والأضواء الكاشفة، والممثلون...متجاوزا به التعاريف النمطية الأولى حيث الخطاب السياسي مقابل للتداول في أمور عامة الشعب. عبر وسيط يجمع بين الطرفين متمثلا في اللغة بما هي حجاج. إذ أن الجمهور/المستَمعl'auditoire [3] أصبح مولّدا للخطاب السياسي وعليه انتقلت السلطة من المتكلم (على انفراده) إلى سلطة كونية حيث تتبدد الفوارق (جمهرة) .

يقول واصفا حال هذا المسرح إبّان انتفاضة 25 يناير: "ما أشبه السياسة بالمسرح الكبير وما أشبه حقل التواصل السياسي بخشبة المسرح التي تقف عليها القوى السياسية بأحزابها وجماعاتها وكياناتها لتعزف خطاباتها أمام جماهير محتشدة تجتمع في قاعة رحبة رحابة

الوطن. من الطبيعي أن تتغير المقطوعات المعزوفة من حين لآخر وأن يتغير العازفون بل يمكن أن تتغير نوعية الجمهور أنفسهم، وشكل علاقاتهم بالعازفين، لكن خشبة المسرح يظلان ثابتين عادة (...) على خشبة مسرح التواصل السياسي خضع خطاب التغيير لأشكال عديدة من التضييق ومحاولة إسكاته وتهميشه، أو صرف الجمهور عنه. لكن هذا الخطاب استطاع اجتذاب شريحة ضخمة من جمهور المصريين الذين ملوا من الجلوس متفرجين على المسرحية الركيكة التي كان النظام البائد يحاول بواسطتها تمرير سيناريو التوريث (...) أصبح أغلب المصريين يشاركون في إنتاج خطاب التغيير، في ساحة التواصل السياسي فقد كان المصريون العاديون ينتجون خطاب التغيير ويتلقونه في الأتوبيسات العامة ومنتديات الأنترنيت وصفحات الجرائد وزوايا المقاهي، وفضاء الفايسبوك وجدران الحوائط، وداخل الميكرو باصات، وقاعات الجامعة، وساحات المظاهرات، واستديو هات التلفزيون وورش المصانع..."[4]، قد يكون النص طويلا، لكن عظمة خشبة المسرح السياسي وهوله أقامت هذا الجدار كله، فكان التوظيف مطولا. وبهذا تصبح الخطابات السياسية الجماهيرية الواسعة، نصوصا تحريضية دعائية، أزماتية (من الأزمة) في جوهرها لا مناسباتية (مثل خطابات الانتخابات أو أعياد الاستقلال...) . إنها تأخذ من الخطاب السياسي حقلا تتكامل وتتناغم فيه الصورة مع الأغنية، والهتاف مع التصفيق، والرسم مع الجرافيت. لتجتمع مع دلالات الزَّمَكَان. وقد تكرس هذا المفهوم الجديد للخطاب السياسي بظهور ثلاثةِ أنْمَاطٍ خَطَابية معاصرةٍ:

أ- خطاب الميادين [5]: الخطاب الاحتجاجي الثوري المفتوح أمام كل الجماهير.

ب- خطاب الشاشات[6]: ويشمل كل ما تبثه القنوات الفضائية والرقمية (قنوات التواصل الاجتماعي)، أو الخطاب المضاد للثورة

ج- خطاب الصناديق[7]: وهو الخطاب السياسي الذي يرافق العمليات الانتخابية. الدعائي الحشدي

وينبني الخطاب السياسي في شكله العام على اللغة، ولغته لغة تشريعية سلطوية، وما دامت أنها تشريعية فاللسان أحد قوانينها بتعبير بارت[8] إنها جرثومة وإحدى طفيلياته. ويتوخى الخطاب السياسي عموما السلطة والقوة (l'autorité et le pouvoir) [9] في الدفاع عن مضامين خطاباته بقصد التأثير والإقناع والاقتناع.

وتماشيا مع العلاقة التي تربط بين الخطاب السياسي ومشروعية القوة (la légitimité du pouvoir) يشير كونستانتين سالفاسترو إلى أن الخطاب السياسي يستمد مشروعية قوته "من وجود مشكل خطابي (problème de discursivité) من قوة الأفراد أو حزب سياسي، أو

نتيجة لنشاط خطابي كبير المدى، وعرض أشكاله المتنوعة مع الفوارق الذهنية المختلفة التي توجد لدى الجمهور، وكذا من خلال استعمال قنوات التواصل الأكثر انتشارا" [10].

وعادة ما تتوخى السياسية العقلانية والحقيقة حسب بير تراند بيفون (bertrand Buffon) لذلك فهي "مزيج من العقل والأهواء، ولا نأخذ منها الأصح، لكن ما يشبه الحقيقة vraisemblable* أو الأوْلى بالانتقاء ولا يأتي هذا أو ذاك لا بالبيّنات أو البرهان ولا بالتجربة لكنه يأتي بالحجاج والاقتناع (persuasion) بواسطة فن الخطابة" [11]، معتمد بذلك على مهارات الخطيب/السياسي الخطابية في تحريك هواجس الجمهور واستمالة عواطفهم. وباعتماده على هذه الاستراتيجيات الخطابية (الهدامة) في بعدها الظاهري تجعل من الخطاب السياسي والسياسة عموما أشبه بأكذوبة العصر. غير أنها ليست كذلك، فالسياسة في مفهومها الحديث والمعاصر بحسب تعبير محمد العمري مجال واسع رحب للحوار، حوار من أجل تدبير الشؤون المدنية ممثلة في الأحزاب السياسية والهيئات المدنية "إذ لا سياسة في العصر الحديث دون أحزاب" [12].

إن الخطاب السياسي الذي ينشده محمد العمري هو ذاك الخطاب القائم على الحوار[13]، وأي حوار هذا؟. حوار مُثَلَّثُ الأضلاع يستحيل قصُّ أجنحة أحدها. الحوار مع الحرية في إطار عام تكون الديمقراطية هي الضامنة. هو ذاك الحوار السياسي الذي يجري داخل دائرة الممكن أو دائرة الحوار كما يسميها، تتطلب بعين الاعتبار أخذ الآخر والتعاون معه مشاورا أو منازعا مناظرا أو مفاوضا. يقول في هذا الصدد: "دائرة الحوار هي دائرة الممكن دائرة ما يتطلب إنجازه آخذا الآخر بعين الاعتبار، متعاونا (مشاورات) أو منازعا (مناظرات)، أو منقادا دون روية (استهواء) " [14] لكن ما إن يصبح الخطاب ملتويا وتشوبه المنعرجات الخطرة، والانزلاقات الخطابية؛ انزلاق إلى العنف بكل أصنافه، إما بالمغالطة (غلطا وتغليطا) أو الإعنات أو التضليل أو التوهيم أو التعميم أو الكيد أو الكذب أو القذف أو التهديد أو بالتكفير والتجهيل، أو لنقل بدل الإقناع يحضر الإقماع لغة واصفة، أو في أحايين كثيرة بادعاء المعرفة كاملة والسعي وراء فرضها على الآخرين. لا نكون أمام حوار بالمعنى المرجو منه. "يجري الحوار داخل دائرة الممكن، ولكنه قد ينزلق خارج الدائرة حين يصادر أحد الطرفين حق الآخر في المعرفة أو النظر أو الاعتبار (حيث يستغفله أو يستخف به) . وهذا ما نسميه الخروج من دائرة الحوار، أما الحوار الذي يجري داخل الدائرة فمختلف الطبائع (...) ولكن الاختلاف بين المقامات لا يمنع بين التداخل بين الأنماط، بل قد يحدث ما هو أكثر من التداخل، أي الانزلاق من نمط إلى آخر، وبالتالي الانتقال من لغة إلى لغة" [15].

ولا غرابة في هذا التداخل الخَطابي/الذي يحمله الخطاب السياسي بين دفتي جناحيه، والهروب باللغة من فلك إلى فلك، ذلك شأن اللغة الحاملة له؛ لغة طبيعية لا تحتمل القياس ولا العد ولا البرهنة كسائر العلوم الحقة، حيث لا مجال لإسكات المعاندين إلا بالبرهنة والعقل والمقاييس المخبرية بعيدا عن لغة الخشب. "خطاب يدعي الصدق ويحتمل الكذب" (16) . وهنا نكون إزاء تعارض لغتين: النسبية والاحتمالية (الخطاب السياسي/البرهنة والقياس، خطاب العلوم الفيزيائية والرياضية) . وهل يوجد تصور لا يستلزم احتمالية للخطابات ذي النسق الطبيعي وفي مقدمتهم الخطاب السياسي؟.

بُردة الاحتمال مُلْزِمَةٌ للخطاب للسياسي ما دام أنه يبتغي العبث اللغوي. يقول بير تراند بيفون وهو بصدد حديثه عن احتمالية الخطاب السياسي: "ومن أجل ذلك فالعالم لا يقف على العقلانية الحقة (l'irrationalité pure) كما يقول شاييم بيرلمان (Chaïm Perlman) لا يوجد ضرورة بكل تأكيد لكن اطرادات، ولا حقائق مطلقة لكن يوجد ما هو محتمل، لا يوجد الأصح بل الشبيه بالحقيقة، ولا حتى قيم واحدة بل مجموعة من القيم المشتركة، وليس هناك كلام عقلي صرف بل ما تم إدراكه أو تمييزه سواء ما شابه الحقيقة أو كان أَوْلى في الاختيار " (17)، وتتجلى احتمالية الخطاب السياسي حسب رأيه في أربع ركائز أساسية:

. "في معياريته (son critère): لا يخضع للتجربة الناجحة كالفيزياء، أو حتى للنتائج المتطابقة مع القواعد المنطقية مثل الرياضيات، لكن معياريته تكمن في توافقه مع أكبر عدد ممكن.

. في منهجه (sa méthode): عقد اتفاق حول الآراء الشخصية من أجل مشروع للبحث والتشاور.

. في واقعيته (sa rationalité): البرهنة فيه غير إجبارية، ويعتمد على الأصوات المستعارة الأكثر تنوعا كالاستنتاج المنطقي أو الاستدلال (الحجاج بالتمثيل...) .

. في لغته (son langage): يبنى على اللغة الطبيعية مع الغموض، وافتقاده للدقة وكل الأشياء التي تشترك فيها القيم والأعراف الخفية." (18) ويرجع افتقاد الخطاب السياسي للدقة من خلال لغته، إلى ثنائية السلطة والقوة التي تحملها، لأنه يكرس الهيمنة الأحادية الجانب، غير معترفة بالآخر.

الخطاب السياسي عبارة عن (لعبة الكلمات) . فالزعماء والسياسيون يتقلدون السلطة من خلال تلاعبهم بالكلمات ومن خلال قدرتهم على الإقناع واستمالة العواطف وتهييجها، فهم يوظفون بذكاء الرموز اللفظية في نشاطهم التواصلي. واللغة السياسية من هذا المنظور لا تتحقق بألفاظها، بل بالمعلومات التي تنقلها وبالسياق الذي تتحقق فيه عملية التواصل.

فالمسؤول السياسي قد يصدر خطابه بكلمات رومانسية يدغدغ بها مشاعر الآخر ويقنعه، ولهذا الغرض فإنه يحتاج دائما إلى التلاعب بالكلمات، من أجل تحقيق غرضه. وقد وقف عماد عبد اللطيف على الجانب العبثي بالكلمات في الخطاب السياسي وعدّها في أربعة أوجه:

يتجلى اللعب باللغة في الوجه الأول في وجود فجوة بين ما تقوله اللغة وما هو مرسوم على أرض الواقع، باللجوء إلى الكلام المنمق المعسول، والتغني بالأمجاد وأعمال ومنجزات سابقة. أما العبث الثاني فهو حصيلة الاستخدامات البطشية للغة، عبر اتكائها على الأوامر والنواهي، ناثرة الوعيد ومنجزة العدوان. أضف إلى ذلك اتجاهها إلى فرض أعراف صارمة على التواصل مع الحاكم والمحكوم من خلال تأسيس علاقة تراتبية سلطوية. بالمقابل تنزل بالمعارضين والمنتقدين أشد العقاب. ناهيك عن تسخير اللغة كأداة للتمييز والإقصاء، وذلك بتوظيف تراكيب المبني للمجهول أو بواسطة أساليب التعريض والكناية. وأخيرا العبث الرابع عندما تدّعِي السلطة لنفسها امتلاك الحقيقة المطلقة واليقين التام، باستخدام أدوات التوكيد جميعها. فما تقوله السلطة هو حقيقة، وما يقوله الآخر فهو الباطل الزائف [19]، أو ما يعرف عند فان ديك بأسلوب الاستقطاب المتمثل في "نحن" مقابل "هم" [20]. أو بتعبير محمد العمري أملكة الذات وشيطنة الآخر [21].

في خضم هذا الواقع، يبدو أن الخطاب السياسي يقوم على صفائح جيولوجية تكتونية يعلو بعضها بعضا، بحثا عن قيم مشتركة بين الجمهور، لكن غالبا ما تكون هذه الصفائح عرضة للتعرية من جرّاء تآكل تربتها، وتصدع جدران قواميس لغتها. وفي إطار استكمال حلقة خصائص الخطاب السياسي يرى باتريك شارودو (Patrick charaudeau) أن الخطاب السياسي يتوخى الإقناع والاقتناع معا، حيث تشتغل القوة الرمزية لأجل امتلاك وتدبير السلطة، وهي سلطة لا تقوم إلا بقيامها على شرعية مكتسبة من عند الناخبين. فالسياسي عموما يحفز جمهوره على الفعل، وانطلاقا من هذا التحفيز يبحث لنفسه عن أغلبية تتعاطف معه. وقد أجمل هذه الخصائص في أربع خصائص:

1. التبسيط [22]: وهو أمر ليس بالأمر الهين يتطلب ذلك مراعاة مخاطبة الجمهور باتساع رقعتهم المعرفية، وكفاءاتهم في الاستدلال، مع الأخذ بعين الاعتبار القيم المشتركة بينهم حتى لا ينقطع حبل التواصل بين الجمهور والخطيب/السياسي" التبسيط ليس أمرا سهلا وهو ينطوي على مخاطر. ليس سهلا لأن الأفكار تنتظم في أنساق معارف واعتقادات تختلط في ما بينها ويجعلها ذلك معقدة في العرض" [23].

2- أنماط الاستدلال [24]: ويتأتى ذلك من خلال الاتكاء على الاستدلالات المنطقية الحجاجية الموظفة والتي يعتقد السياسي أنها ينبغي أن تكون حقيقية، أو ببيان قوة العلة،

مفترضا أن الجمهور يقاسمه نفس الطريقة. وينحو الخطيب من أجل هذه الاستراتيجية منحيين اثنين في الاستدلال: استدلال أخلاقي له مبدأ فعلي يُناط له مهمة جعل الأفراد يقبلون بالفكرة على أساس أنها المشروع السياسي المقترح من دون رَوِيّةٍ. والمنحى الثاني فهو التداولي، يربط فيه بين المقدمات والنتائج (إذا كان "أ" فإن "ب"/إذا لم تكن مع أمريكا فأنت ضد المجتمع الدولي" [25]. يقول شارودو مبينا الفرق بين المنحيين: "إن الخطاب السياسي القائم على الاستدلال الأخلاقي يسعى إلى وضع الفرد أمام اختيار أخلاقي [[وهو الاختيار الذي بموجبه ينبغي الفعل]]، في حين أن الاستدلال التداولي، يسعى إلى وضعه أمام مسؤولية [[ما هي الوسائل المطلوبة لإدراك غاياته]]" [26].

3- اختيار القيم [27]: وتتعلق بكيفية اختيار السياسي للقيم التي يتقاسمها مع الجمهور، بما يوافق قناعاته الخاصة وقناعات أنصاره. غير أن هذه الاختيارات تصطدم حسب شارودو بثلاث عوائق. يطرح أمام السياسي أول عائق متمثل في تعدد القيم "المساوات، العدل، الحرية..." وذلك لعدم انسجام وتوافق الجمع حولها، إما لتعددها أو لتشعبها بين أقطاب التوجهات السياسية/يمين، يسار/. لكنه بالمقابل عليه أن يراعي استجابة الأغلبية أو ما خُيِّل له أنه كذلك "إن هذا يرغم السياسي على الاستجابة لشرط موافقة قيم الأغلبية، أو على الأقل القيم التي يتخيل أنها كذلك، دون أن يقع في تناقض" [28].

ويبدو أن شرط توافق هذه القيم مع الدعايات السياسية لا يرقى للتوافق بين ما يقوله الخطاب السياسي وبين ما تقوله أعراف بلد ما (بين القول السياسي والفعل السياسي)، في مقدمتها المناداة بالمساواة مثلا يقف عائقا أمام تقاسمه مع جمهور الدول الاسلامية (تطبيق المساواة في الإرث مثلا). هل يُؤخذ بطرف مع إبقاء الطرف الثاني؟ أم يتم التنصيل منها إذا لُوحظ تعارضها؟، ناهيك عن الحرية. غير أن هذه القيم قد لا تكون عائقا تواصليا في البلدان الغربية، لأنها تبقى شبه متعارف عليها إن لم نقل هي هي.

علاوة على هذا، يقف تعرض هذه القيم للتغير خلال تاريخ بلد ما عائقا ثانيا [29]، على السياسي/الخطيب أن يسل رمحه منها. إنها تلك القيم التي تنتمي إلى متخيلات التقليد والحداثة، ومعرفتها بالرجوع إلى تاريخ شعوب/ جمهور ما. كالدفاع عن الاشتراكية لتبرير سيادة التحكم، أو الإعلاء من الديمقراطية لمحو صورة العنف. المجال الاقتصادي (التبادل الحر) إلى مجال العمل ومجال الثقافة (حرية الإبداع ضد الهيمنة)، أو من اقتصاد السوق إلى الرأسمالية. وغيرها من قيم اليسار أو اليمين السياسيين [30].

أما العائق الثالث [31] فيتعلق بمحاولة وصف هذه القيم حينما تربط بشكل ثابت بالآراء الشخصية أو المجموعات أو أحزاب اليمين أو اليسار، فمن الضروري ملاحظة ووصف وتحليل

القيم حالة بحالة تبعا لمجالات مختلفة "مجال المبادئ الكونية المؤسسة للسعادة الاجتماعية مع قيم الحرية والمساواة والتضامن؛ مجال المبادئ الهوياتية مع قيم السيادة مجال الانتماء الديني، أو العرقي أو الايديولوجي، مجال المبادئ التي تحكم الحياة الاقتصادية مع قيم الكسب والحق في العمل والإنصاف، مجال التقدم التكنولوجي لأجل جودة وجود الأفراد وضد آثاره المؤذية؛ مجال مبادئ الحياة ضمن الجماعة مع قيم العدل المنصف، وتأمين الممتلكات والأشخاص؛ وأخيرا مجال المبادئ السياسية مع قيم النزاهة، والإخلاص الذي يتطلب الانسجام مع الأقوال والأفعال" [32].

4- الحجج [33]: خاصية تؤهل الخطيب/السياسي للإقناع، عبر حجج البرهان، مراعيا في ذلك أحوال المخاطبين وفق ثلاث حجج: في البداية تقدم حجج افتراض البديهة، عبر تذكير الجمهور بقوة القيم المشتركة، آخذا بعين الاعتبار اختيار القيم. وحجج تحيل على إيتوس الخطيب بنوعيه: إيتوس الالتزام بالتعبير عن إرادة الفعل؛ إيتوس السلطة الذي يستند إلى التذكير بشرعية ومصداقية الخطيب، أو باستدعاء سلطة شخص آخر. أما الحجة الثالثة تلك التي ترصد الصياغة الدرامية، لعبا على انفعالات وعواطف المتلقي. واستنادا أيضا إلى مقومات أسلوبية من مثل جعل الشيء جوهرا بجعل فكرة ما محتوية بالكامل في مفهوم واحد، والاتكاء على بلاغة الإيجاز مع شحن العبارات بدلالات جامعة مما تكسبها قوة وجاذبية. فضلا عن مقومات التناسب[34]. وغيرها من الاستعمالات اللغوية كاستحضار الحكم والعبارات السائرة والأمثال.

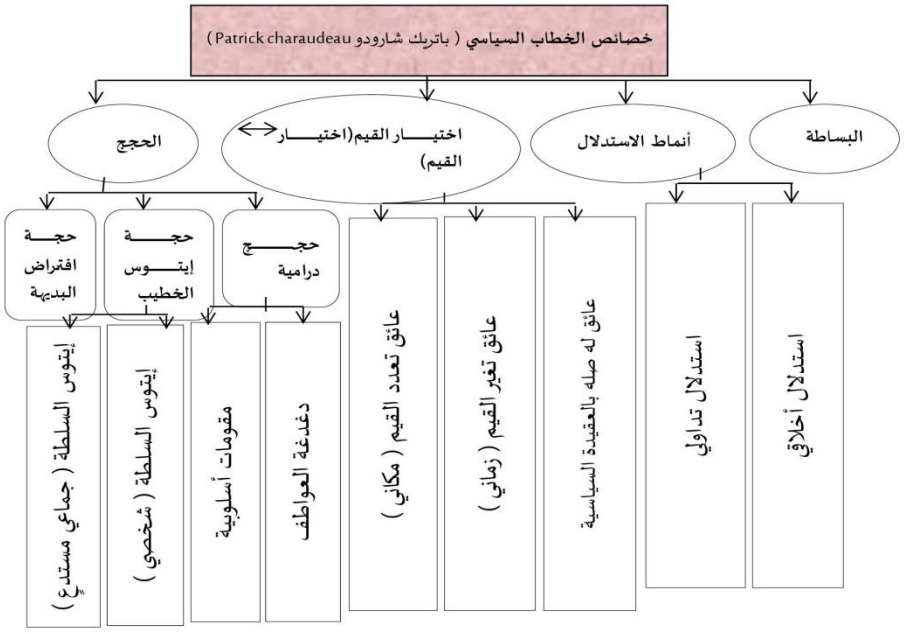

المبحث الثاني: البلاغة والسلطة في الخطاب السياسي. أية علاقة...؟

أي علاقة تربط البلاغة بالسلطة...؟ وأين تتجلى جدليتهما في الخطاب السياسي...؟ وما علاقة البلاغة بالإيديولوجيا عموما...؟ وأين يمكن أن تتمثل البلاغة والسلطة في الخطاب السياسي...؟ ومن أين يستمد الخطاب السياسي/ الخطيب السياسي سلطته...؟ وما مجالات هذه السُّلَطِ...؟.

تتأسس عن هذه الأسئلة باعتبارها مفاتيح للعنوان؛ أربعة مفاهيم في غاية الأهمية تنسج علائقها فيما بينها وهي: البلاغة، والسلطة، والخطاب السياسي (اللغة)، والإيديولوجيا لِاحتوائها الخطاب السياسي بما يجسده من سلطة. يتعين علينا وقبل الدخول إلى الكشف عن العلائق المتوارية بين البلاغة والسلطة والإيديولوجيا في الخطاب السياسي الوقوف ولو لبرهة من الزمن على تحديد مفهوم السلطة والايديولوجيا وما تعنيهما.

يبدو أن محاولة تحديد مفهوم للسلطة أمر في غاية الصعوبة، وذلك لتعدد وجهات النظر الفلسفية التي قُدمت إليها، فقد ينظر إليها من زاوية الحق في الأمر مستلزمة بذلك آمرا ومأمورا وأمرا؛ آمرا له الحق في إصدار أمر إلى المأمور، ومأمور عليه واجب الطاعة والانصياع لأمر الموكل إليه [35] . غير أن خندقة السلطة في هذا التعريف يجعل من السلطة طابعا هرميا تراتبيا فحسب، والحال عكس ذلك، فالنظر إلى السلطة بكونها كيانا جاهزا ومعطى سابقا يقصي السُّلَط الأخرى التي قد تتوارى فقط بمجرد التلفظ بالخطاب دون وجود هذا التراتب الهرمي. بمعنى آخر؛ ليست السلطة فقط كيانا تراتبيا تقتضيه طبيعة النمط الاجتماعي للسكان، والصراع الطبقي والبنيات التحتية والفوقية (رئيس/مرؤوس، حاكم/عبد) . كما أنها بالمقابل ليست وليدة اللغة وحدها وإنما بإمكانها أن تتعدى كل الأشكال الخطابية الأخرى "من المهم أن أؤكد أنني لا أقول إن السلطة تنحصر وحسب في اللغة، فنحن نواجه دائما عند التركيز على جانب واحد من جوانب علاقة اجتماعية أو عملية اجتماعية. خطر الإغراء في اختزالها في ذلك الجانب وحده[...]فالسلطة قائمة في شتى الصور والأشكال ومن بينها الشكل المادي الذي لا يمكن أن تخطئه العين أي القوة المادية" [36]، فالسلطة من هذا المنظور تقبع في القوة المادية للأشياء كالسلط التي توحيها الصور والملصقات، في فرض نموذج فكري سياسي أو إيديولوجي على الجمهور.

واعتبرت السلطة عند ميشيل فوكو الشغل الشاغل في مختلف تصوراته. فقد تبلورت رؤاه ومواقفه تجاه هذه الأخيرة انطلاقا من تأثره بالفكر الماركسي، وعلى إثرها حاول صياغة مفهوم جديد للسلطة. فإذا كان ميشيل فوكو ينتقد مركزية السلطة وانحصار موقعها في دواليب الدولة وما تمثله من أجهزة ومؤسسات، فإنه بالمقابل يؤكد بأن السلطة لا مركز لها

وأن الدولة بدورها ذات مفعول أو حصيلة لمجموعة من البؤر والآليات التي تشتغل في الصراعات الاجتماعية. مفهومه للسلطة إذن لا يستند على فلسفة في التاريخ أو نظرية سياسية محددة، وإنما يرتكز بالأساس على منظور استراتيجي يركز على واقع الصراعات التي تخترق الحقل الاجتماعي. يقول: وهو إزاء محاولة وضع تعريف للسلطة "لا أعني السلطة أي مجموعة المؤسسات والأجهزة التي تضمن خضوع المواطنين في إطار دولة ما. كذلك، لا أعني بكلمة سلطة نمطا من الإخضاع، الذي هو على العكس من العنف، إنما يتخذ شكل قاعدة. وأخيرا لا أعني بكلمة سلطة نظاما عاما من جهة الهيمنة[...]فالتحليل من منظور السلطة لا ينفي أن نفترض أن سيادة الدولة أو شكل القانون أو الوحدة الكلية لهيمنة ما، هي معطيات أولية. إنما هي بالأحرى أشكال السلطة النهائية. بكلمة سلطة، يبدو لي أنه يجب أن يفهم قبل كل شيء تعدد موازين القوى المحايثة للمجال الذي تمارس فيه[...]وكلمة سلطة تعني أيضا الدعم الذي تلقاه موازين القوى هذه في بعضها بعضا[...]أخيرا تعني كلمة سلطة الاستراتيجيات التي بواسطتها تفعل موازين القوى فعلها والتي تتجسد خطتها العامة أو تبلورها المؤسسي في أجهزة الدولة"(37).

وإذا كانت السلطة عنده غير خاضعة لمؤسسة أو دولة وإنما هي نتاج استراتيجيات معقدة في مجتمع معين فذلك لأنها غير ثابتة وغير مستقرة. إنها حاضرة في كل مكان، دائمة الإنتاج في كل لحظة وفي كل نقطة وفي كل علاقة؛ تعيد إنتاج ذاتها حيثما حلّت وارتحلت. تنسج خيوطها حيثما وجد التواصل الإنساني، فثمة سلطة قابعة. إنها بكل بساطة وفوق كل هذا وذاك "ليست مؤسسة، وليست بنية، وليست قدرة معينة يتمتع بها البعض، إنها الاسم الذي يطلق على وضع استراتيجي معقد في مجتمع معين."[38] ويبدو أن هذا المفهوم هو الأقرب إلى التداول في ظل الحصر الذي لازم السلطة في الظواهر اللغوية أو المؤسسية، صحيح أن الظواهر اللغوية كيان له سلطته، لكنها غير متممة.

وحيث إن السلطة كيان غير مفهوم أوضاعه، وغير خاضع لجهة معينة، فإنها تخضع لممارسة خطابية إيديولوجية. ذلك أن ممارسة السلطة في حد ذاتها ممارسة للإيديولوجيا، قد تكون مؤسساتية أو فردية، خاضعة لأعراف مجتمعية أم لطقوس ثقافية، الأهم فرض تعيين معين للإجراءات "والايديولوجيا ترتبط ارتباطا وثيقا بالسلطة لأن طبيعة الافتراضات الإيديولوجية الكامنة في أعراف محددة[...]تعتمد على علاقات السلطة التي ترتكز عليها الأعراف ولأنها وسيلة لإضفاء الشرعية على العلاقات الاجتماعية[...]والإيديولوجية وثيقة الارتباط باللغة" (39).

وعلى هذا الأساس تُعَرّف الإيديولوجيا "كنظام اجتماعي مستقى من النظريات الاجتماعية بأسلوب واعٍ" (40) أي أن الإيديولوجيا خطابات واعية مستدعاه، تتسلل إلى الخطاب

بطريقة واعية أو غير واعية، مادية أو رمزية، وهي تنشأ من المصالح المادية التي تشتغل حول الصراع على السلطة؛ فيكون الخطاب هو الحلبة المطاطية الذي تجري عليها هذا الصراع. إن الخطابات بكل أطيافها بالضرورة حاملة للسلطة وللإيديولوجيا معا. "إن كلمة الإيديولوجيا لا توحي قطعا بأن لها معنى واحد ثابتا فهي أبعد ما تكون عن ذلك بل ليس من الغريب أن نسمع من بعض كلمات مثل الإيديولوجيا لها فعلا عدد محدد من المعاني ولكن التغيير في معناها ليس لا نهائيا. كما أن معانيها تتجمع عادة في عدد صغير من الأسر الصغيرة" [(41)] ومهما يكن تعريفها فستظل الإيديولوجيا والسلطة معا خطابين متلازمين، ومهما كانت درجة فاعليتها ـ أي الإيديولوجيا ـ باعتبارها "فلسفة خفية مضمرة" [(42)] فإنها تتخذ لنفسها مكانة في الخطاب من خلال درجة الرضا لا من خلال القسر والإجبار، فالانكباب على ممارسة السلطة هو انكباب بالدرجة الأولى بالتحريض على تبني إيديولوجيا ما. وتأخذ هذه الفعالية طابعا حِبّيا مراوغا، ودغمائيا. إذ لا سبيل للقبول بها إن هي اتخذت الطابع المباشر شأنها في ذلك شأن السلطة على كل حال. " وتحقق الإيديولوجيا أقصى فعالية لها عندما تعمل في أقصى درجات الخفاء[...]وأما الخفاء المشار إليه فيتحقق عندما تسرب الإيديولوجيا إلى الخطاب لا باعتبارها عناصر صريحة في النص بل باعتبارها افتراضات في خلفيته، تدفع منتج النص إلى رسم صورة العالم في النص بأسلوب معين من ناحية، وتدفع منتج النص إلى تغييره بأسلوب معين من ناحية أخرى. فالنصوص مفاتيح معينة تجعله يستعين بالإيديولوجيا في تفسيره للنصوص فيعيد إنتاج هذه الإيديولوجيا في غمار ذلك" [(43)] .

وبالموازاة مع هذا الطرح، يشير فان ديك (Van Dick) إلى أن السلطة في الخطاب تأخذ صبغتين اثنتين: السلطة التي تظهر في الخطاب أو عبر الخطاب، والسلطة من وراء الخطاب [(44)] متخذة بذلك أشكالا متعددة. فالخطاب الذي ينتج عنه السلطة هو مظهر مباشر لسلطة طبقة أو فئة أو جماعة أو مؤسسة ما، ومظهر للموقع والمكانة التي يتمتع بها الأفراد. ولذلك عدَّ السلطة نمطا من أنماط السيطرة الاجتماعية يقول: "تعد السلطة نمطا من أنماط السيطرة الاجتماعية إذ كانت قاعدتها تتكون من موارد مرتبطة بعضها ببعض اجتماعيا" [(45)] . يتجلى هذا النمط الاجتماعي في الصورة التي تحاول أن تقيمها أفراد المجتمع فيما بينهم بممارسة السلطة عن قصد أو عن غير قصد، يكون الهدف منها إما التوسيع من دائرة السلطة، أو الحفاظ عليها على الأقل، غير أنها في بعض الأحيان، قد تتشكل السلطة ليس فقط في محاولة التوسيع أو الحفاظ، وإنما وفق نمط خطابي تستدعيه العملية التواصلية بين المخاطِب والمخاطَب. وممارستها تتطلب معرفة حاجيات ومتطلبات ممارس السلطة للفئة الممارس عليها السلطة (سلطة السياسة، سلطة الإعلام، سلطة الدين...) . وقد تتخذ هذه

الممارسة أشكالا خطابية مباشرة، عبر اللغة والأفعال الكلامية، كالأوامر والنواهي أو التهديدات وغيرها، أو عن طريق المعتقدات الثقافية والأعراف والقيم، أو عن طريق القواسم المشتركة ايديولوجيا بين فئات المجتمع. وقول إن ممارسة السلطة والإيديولوجيا نتاج فعل قصدي أو غير قصدي لا يعني أنهما وليدتا خطاب عشوائي، بل الأمر ينشأ من خلال درجة التباين الثقافي في الممارسة بين من يفرض السلطة ومن يتلقاها.

وإذا تقرر هذا واتضح، وتحت زحمة هذين المصطلحين وتفاعلهما مع جميع الخطابات الإنسانية، ومنها الخطاب السياسي، حَسُنَ بنا أن نبحث عن الخيط الناظم بينهما في ساحة هذا الأخير. من أين يستمد الخطاب السياسي سلطته وإيديولوجية؟ وما مصادره؟ وكيف تقيم البلاغة علاقتها معهم؟ وكيف تشتغل البلاغة والسلطة في الخطاب السياسي؟.

لا شك أن الخطاب السياسي واحد من الخطابات التي تشتغل فيها السلطة والإيديولوجيا بشكل وافرٍ، على غرار باقي الخطابات الأخرى، وذلك لطبيعته وخصوصيته التي ينشدها، باعتباره "بدون منازع الفن الجيد لتجويد الكلام، ولكون السياسة الأكثر تمثيلا للإقناع، وهي تتألف كحقول مفتوحة خطابيا لإقناع الشخص" (46). ومما يجعل من الخطاب السياسي حقلا تعشش فيه السلطة والإيديولوجيا بكثرة، قدرته على مخاطبة جميع الفئات الاجتماعية بدون استثناء، خلافا لباقي الخطابات الأخرى، كالسلطة التي يحتويها الخطاب الإشهاري مثلا، إذ؛ يضع نُصْبَ أعينه فئة محددة، وهو ما لم يتحقق في الخطاب السياسي.

ذلك ما ذهب إليه فان ديك بالقول: "وخلافا لمعظم أنماط الخطاب الأخرى، يرتبط الخطاب السياسي مباشرة بجميع الناس، لذا يستمد الخطاب السياسي قوته وسلطته من نطاقه الواسع وأنواعه المختلفة، ويعرف قليلا من نماذج الخطاب الارتجالي الذي ينقل أو يوزع عادة على نطاق واسع عبر وسائل الاعلام، مثل خطابات كبار السياسيين: الرئيس أو رئيس الوزراء[...]هذا الحضور المهيمن في وسائل الاعلام والقدرة المتميزة على الوصول إليها يمكن تفسيره على أنه مظهر من مظاهر السلطة السياسية"[47]. فسلطة الخطاب السياسي من هذا المنظور، ليست تلفظا لغويا ومعطى خَطابيا للخطيب الذي يسعى وراء امتلاك السلطة، إذ؛ يمكن النظر إليها كمؤسسة اجتماعية (مؤسسة الرئيس، مؤسسة البرلمان والحكومة، مؤسسة أجهزة الدولة، مؤسسة الأحزاب السياسية والجيش، مؤسسات النقابات ووسائل الاعلام...) . أو هي بعبارة أكثر إيجازا "السلطة المعرفية" (48)، ذات الصلة الوطيدة بسلطة الدولة سواء أكانت سلطة إكراه، أم سلطة خاطر (ديمقراطية) . ولكل خطاب مؤسساتي منهم نوع معين من الخطاب والحدث التواصلي السلطوي؛ بين مالكٍ لها أصلا، وبين من فُوِّضَت له، وبين من يسعى لامتلاكها، وبين هذا وذاك طرف ثالث ستُفْرض عليه (الجمهور) .

وعقب هذا الزحام السلطوي، كان لزاما على الايديولوجيا أن تأخذ لنفسها طرفا في الخطاب، إذ يتعين على المنخرط مثلا في مجموعة أو حزب سياسي ما، أن يقبل بعض المعتقدات الايديولوجيا الخاصة. فشرط القبول مرهون بتبني سلطة العقيدة السياسية (la doctrine politique) . وإذا كانت الايديولوجيا في هذه الحالة (فرض عين)، فإنها عندما تتعلق بالتجمعات البشرية والذّوْدِ عن المصالح العامة المشتركة كالحملات الانتخابية، تصبح (سُنّة) نتيجة للعمل المطروح حينئذ. "وهكذا تدرس الايديولوجيا عن طريق تحليل كلمات أو مفاهيم معينة يفضل توظيفها ـ تحديدا ـ السياسيون المتشددون واليمينيون أو اليساريون (كاللغة الفاشية أو الشيوعية)"[(49)].

وعلى هذا الأساس، يمكن النظر إلى السلطة في الخطاب السياسي من خلال أربع أوجه تبعا لإنتاجات السلطة المعرفية:

1. الخطابات السياسية المباشرة تنتج عن طريق وظائف لغوية تداولية مباشرة معتمدة على القوة الإنجازية كالأوامر والنواهي، والتهديدات والتعليمات المباشرة أو غير المباشرة والتوصيات. والخطاب السلطوي هنا خطاب مؤسساتي تقنيني. مثال: خطاب الدساتير، خطابات الهيأة المنتخبة داخل قبة مجالس الشعب "النظام الداخلي لمجلس المستشارين مثلا".

2. الخطابات التي تتوخى الدعاية والإعلان والتأثير في المستمَع، بُغْيَة النظر في أفعال مستقبلية مشتركة بين عامة الشعب، وتستند هذه الخطابات في سلطتها على القاعدة الاجتماعية والجماهيرية للشعب الواسعة، لتمرير سلطتها. وقوتها في ذلك الموارد الاقتصادية والمالية والشركات والمؤسسات الإعلامية. مثال: اعتماد الخطاب السياسي على الكلمة أو الاحتكاك المباشر مع الجمهور، فضلا عن تبني الصورة والشعارات كخطابات موازية لتمرير التوجه العَقَائِدي[(50)].

3. خطابات سياسية تستند إلى توجيهات مستقبلية معتمدة على بناء الأحداث والمواقف والتوقعات ووضع خطط وبرامج مقترنة بالنصائح والتوجيهات، وتمثلها في الغالب "النخب الرمزية" مثال: الخطابات الصادرة عن البرامج الانتخابية للأحزاب السياسية، والخطابات التي تصدرها هيأة الأمم المتحدة للنظر في السياسات الدولية أو لفك النزاعات الحاصلة. معتمدة على الحجج والوسائل البلاغية.

4. هذا الصنف من الخطابات شبيه بالصنف الثالث، تتأسس سلطته على بعض التقارير والأحداث، فتقدم تصورها وتعطي العواقب المحتملة. شأن آراء النخب السياسية. "تقرير المجلس الأعلى للحسابات مثلا".

وتجدر الإشارة إلى أن السلطة القابعة هنا تظل حاسمة في توجيه آراء الأفراد/الجمهور موظفة لهذا الغرض عددا من الآليات الإقناعية، وتسخير الوسائل البلاغية، والفنية المختلفة، كبلاغة الاستمالة العاطفية، ولعبة الأرقام. وكلها أنماط خطابية تتوخى الهيمنة الرمزية أكثر من تبنيها العقلانية شعارا.

يشتغل الخطاب السياسي على الممكنات أو على المحتمل تحقيقه وإنجازه، ولتحقيق هذا الغرض، فهو يحاول الهروب بالخطاب إلى أوساط خطابية أخرى لها سلطتها في المجتمع والتجمعات الإنسانية، لعله يزكي بها مصداقية أطروحاته. وأمام هذا الهروب والزيف السلطوي الحاصل تقبع البلاغة كآلية لمحاولة تعرية الخطاب السلطوي. "ترتبط البلاغة بالسلطة ارتباطا جدليا فهما متفاعلتان، فحيثما وجدت بلاغة وجدت سلطة، فالسلطة في مصر إبان الربيع العربي وبعده استعانت بالخطاب الديني الفضائي والأزهري حتى فقد هذا الموضوع حياده ومصداقيته" (51).

ومن هذا المنطلق، وبانزواء السياسي إلى سلطة الخطاب الديني وما تمثله مرجعيته العقائدية من قوة وسلطة تأثيرية لدى عامة الجماهير بقابلية كل ما يرِدُ عليهم منه، باعتباره يمثل قُدسية، فإنه من السهل النفاذ والتحكم في سلطة الجمهور. ويكمن دور البلاغة هنا في مقاومة هذه السلطة (سلطة توظيف النص الديني لأغراض سياسية) بإعادة مساءلة أو إنشاء خطاب مواز لهذا الخطاب؛ خطاب ينبني على إقامة الحجة والتكامل بين السلطة والمعرفة؛ معرفة الخطاب السياسي وإدراكاته، وبين معرفة الخطاب الديني. كما تتم مساءلة التعارض بين الخطابين وللتضليل الذي سِيقَ أثناء ممارسة السلطة. أو ما أطلق عليها اسم "مساءلة الهيمنة ومساءلة التحرر"(52). وبعبارة أخرى، تعمل مساءلة التحرر هاته على إعادة صياغة الأنساق الثقافية، والمعتقدات الفكرية والاتجاهات السلوكية التي صيغت وفقا لمصلحة المهيمن. فالبلاغة/البلاغي إذن مطالب بإيجاد توازن بين بلاغة السلطة وبلاغة النخبة، فيساهم بذلك في وحدة الأمة والحفاظ على توازن السلطة ونشر الثقافة (53).

ويمكن الإشارة تبعا لهذا الجانب لما يدعى بالاستجابات الجماهيرية التي تنشئها الجماهير ردا أو ردعا للخطابات السلطوية المهيمنة. إذ أصبح للجمهور وبعد أن كان طرفا مفروضا عليه السلطة أضحى قائدا للعملية التواصلية، وزعيما لوأد الخطاب السلطوي. فقد تمكن الجمهور من إيجاد أدوات تساعده على تطوير مواقفه واستجاباته حتى تغدو خادمة لمصالحه، سبيله في ذلك الأساليب اللغوية والسميائية والفضاءات الاجتماعية الحية وغير الحية. والحديث بلا شك عن بلاغة الجمهور التي آلت على نفسها تمكين الجمهور من مقاومة الخطابات السلطوية. وتُخْتَزَلُ هذه المقاومة في "إمداد المخاطبين بمعارف تمكنهم من إنتاج استجابات بليغة؛ وتضيف

إلى المواد التي تدرسها مواد استجابات الجماهير في الفضاءات العمومية بوصفها مادة بلاغية، وتضيف إلى الأسئلة المعرفية التي تطرحها أسئلة تخص العلاقة بين إنتاج الخطابات، وتشكلها، وأدائها من ناحية، واستجابات الجمهور لها من ناحية أخرى" [54].

إن الملامح التي ترمي إليها هذه البلاغة تبدو أساسية وتقصد تغيير السلطة الخطابية والسلطة الحقيقية الممارسة على أرض الواقع. من المتكلم المالك بزمام سلطة الخطاب، إلى مخاطب أو جمهور آخذ لها وفاعل فيها، عبر مجموعة من الممارسات الخطابية. وهو بهذا يؤسس لخطاب نقدي بلاغي يكشف عن الانحرافات والتحيزات والهيمنة. فتحولنا بذلك في الخطاب السياسي من إنتاج للكلام إلى محاولة إنتاج استجابات جماهيرية موازية، أو لنقل إنتاج سلطة مقابل سلطة، وبلاغة مقابل بلاغة. يطلق عليها عماد عبد اللطيف اسم البلاغة الوليدة. "استهدفت البلاغة الوليدة تثوير الخطاب بموازاة عملية تثوير المجتمع. وقد حققت ذلك عبر عمليات تفنيد ونقد مكثفة لخطاب السلطة القائمة. تضمنت هذه العمليات كشف تناقضات خطاب السلطة وتحيزاته، والسخرية من مغالطاته، وتعرية عمليات التلاعب والتضليل التي يقوم بها، وإبراز المصالح الحقيقية التي يسعى لتحقيقها، وإزالة أقنعة التمويه التي تخفي هذه المصالح وتجملها. وفي المقابل قامت البلاغة الوليدة ببلورة خطاب ثوري، يتضمن مجموعة القيم والمبادئ التي يؤمن بها الثوار، والأفكار والآراء التي يتبنونها ويدافعون عنها، والمصالح والأغراض التي يستهدفون تحقيقها، وشبكة التحالفات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يحاولون أن يؤسسوها، وصورة الماضي الذي يثورون عليه، وملامح المستقبل الذي يبشرون به" [55] . ويضيف عماد عبد اللطيف في نفس السياق قائلا: "تتخذ بلاغة المخاطب من استجابة المخاطب مدخلا لدراسة العلاقة بين الخطاب والسلطة. فالخطاب السلطوي؛ لا يحدد في ذاته فحسب، بل بالآثار التي يحدثها في استجابة المخاطب بشكل أساسي؛ أي أن القيود والمحددات التي قد تفرضها الظواهر اللغوية على استجابة المخاطب تعتبر معيارا لتحديد ما هو سلطوي. كما أن السلطة لا تتجلى في اللغة فحسب، بل عبر الاستجابات الموجهة التي تتعاضد معها. وأخيرا فإن مقاومة الخطاب السلطوي لا تكون بتعريته فحسب، بل بإجهاض قدرته على التحكم في استجابات مستهلكيه، وتعرية الاستجابات المتواطئة معه. ومن ثم فإن نجاح خطاب سلطوي ما في تحقيق وظائفه، يقاس أساسا بقدرته على السيطرة على استجابات مستهلكيه" [56] وبهذا كله استطاعت البلاغة أن تقاوم الخطابات السلطوية، وتضع لنفسها بالموازاة مع هذه الخطابات خطابات أخرى مضادة، ليس بمقدور السياسي أن يتجاهلها أو أن يقفز عليها. لأنها بكل بساطة طاقة فياضة، كما وصفها.

خاتمة

بعد أن تتبعنا علاقة السلطة بالبلاغة في الخطاب السياسي، وعلاقتهما بالإيديولوجيا تبيّن لنا ما يلي:

- تتجلى خصائص الخطاب السياسي عموما من خلال الاتكاء على مختلف مناويل ومشارب البلاغة والحجاج، بحيث نألف: بلاغة اللوغوس (la rhétorique de logos) عندما ينهل الخطيب والسياسي في خطاباته من اللغة وما توفره من استدلالات فهي الخزان المعرفي بدونها لا تستقيم الاستراتيجيات الخطابية. بلاغة الإيتوس (la rhétorique d'éthos) حين يعتمد الخطيب على قدراته ومؤهلاته الخطابية، ونوازعه النفسية وثقافاته حتى يَبْدُوَ أهلا لنيل ثقة جماهيره. بلاغة الباتوس (la rhétorique de pathos) باعتماد السياسي على عملية التحريك العاطفي وتهييجها، وإثارة مشاعر الخوف والفرح والحزن بما هي مفاتيح من مفاتيح الإقناع والتحريض على فعل أمر ما (التصويت) .
- تمثل خصائص الخطاب السياسي؛ البساطة، أنماط الاستدلال، اختيار القيم، الحجج، والتلاعب باللغة، دوال غنية لممارسة السلطة والايديولوجيا.
- السلطة صفة ملازمة للإيديولوجيا، إذ لا يمكن الحديث عن سلطة دون إيديولوجيا.
- تقيم البلاغة حليفا استراتيجيا لمقاومة السلطة في الخطاب السياسي عبر إنتاج خطابات موازية مضادة تدعى باستجابات الجماهير، مسخرة لذلك الأساليب اللغوية والسميائية كفضاءات بلاغية.

مراجع البحث وإحالاته:

(1) أرسطو: الخطابة، ص: 23

(2) Constantin Salvastru: rhétorique et politique le pouvoir du discours et le discours du pouvoir.p175

(3) Auditoire ترجمة لكلمة مستمَع عن الفرنسية، من اقتراح الأستاذ محمد العمري.تجمع بين صيغة "مجتمع" وصوت "سمع".مستمَعون (auditoires).يحمل المستمع صفتين اثنتين: مستمع كوني (auditoire universel)، ومستمع خاص(auditoire particulier).ينظر: محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص220.

(4) عماد عبد اللطيف: بلاغة الحرية، معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، ص12/11

(5) نفسه، ص19

(6) نفسه، ص99

(7) نفسه، ص109

(8) رولان بارت: درس السميولوجيا، ص12

(9) في سياق التفريق بين (autorité /pouvoir) وعلى تقاربهما يميز الباحث الفرنسي (Constantin salvastru) بين أربع حالات بقوله: "يمكن أن نكشف عن أربع حالات تربط بين القوة والسلطة.1) ننظر لحضور السلطة والقوة معا: الطبيب سلطة في ميدان تأهيله، وإذا كان مديرا للمستشفى فهو إذن الناقل للقوة بالمستشفى.2) نرى حضور السلطة لكن بغياب القوة: الطبيب له سلطة لكنه ليس مديرا للمستشفى في هذه الحالة.3) نسجل حضور القوة لكن مع غياب السلطة: الطبيب أقل كفاءة لكنه مدير لمستشفى مشهور في هذه الحالة.4) تباين في غياب السلطة والقوة معا: الطبيب أقل كفاءة وليس له مهمة داخل المستشفى "

voir: Constantin Salvastru, rhétorique et politique p: 129

(10)Constantin Salvastru: rhétorique et politique.p 176

* الشبيه بالحقيقة ترجمة لمصطلح le vraisemblable من اقتراح الأستاذ الحسين بنو هاشم باعتباره يدخل في الخطاب الاحتمالي ولا مجال فيه للحقيقة.

(11)BerTrand Buffon « Perlman et la relégtimation du politique » p: 42

(12) محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص272

(13) الخطاب الفلسفي والخطاب السياسي كلاهما يقومان عند محمد العمري على مبدأ الحوار العقلاني غير أن الفرق بينهما يتمثل في كون الخطاب الفلسفي يحاور أو يفحص الأطروحات (les thèses) عارضا أو معترضا عليها في إطار العقل، أما الخطاب السياسي فهمه ملاءمة الأدوات الحجاجية للمقام وأحوال المتخاطبين.ينظر: أسئلة البلاغة ص84

(14) محمد العمري: دائرة الحوار ومزالق العنف كشف أساليب الإعنات والمغالطة مساهمة في تخليق الخطاب، ص11

(15) نفسه، ص 14

(16) محمد العمري: أسئلة البلاغة، ص: 84

(17)Ber Trand Buffon "Perlman et la relégitimation du politique " p: 42/43

Ibid ; p: 43)18 (

(19) عماد عبد اللطيف: بلاغة الحرية، ص24/23

(20) فان ديك: الخطاب والسلطة، ص368

(21) محمد العمري: دائرة الحوار، ص75

(22) باتريك شارودو " حول الإقناع في الخطاب السياسي " ص90

(23) نفسه، ص90

(24) نفسه، ص91

(25) عبارة مشهورة للرئيس الأمريكي الأسبق " جورج بوش " قيلت إبّان الحرب على العراق سنة 2002 داعيا بها باقي البلدان الأخرى من أجل إيجاد حلفاء استراتيجيين لما سمي آنذاك بالحرب على الإرهاب. وتقتضي العبارة استلزاما منطقيا ظاهرا إذا لم تدعم أمريكا في الحرب على الإرهاب فأنت إذن ضد أمريكا ومن ثم ضد المجتمع الدولي الذي أدخل في الخانة الأولى.

(26) باتريك شارودو " حول الإقناع في الخطاب السياسي " ص91

(27) نفسه، ص92

(28) نفسه، ص92

(29) باتريك شارودو " حول الإقناع في الخطاب السياسي " ص92

(30) نفسه، ص93

(31) نفسه، ص93

(32) نفسه، ص93

(33) نفسه، ص93

(34) نفسه، ص97/96

(35) عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص221

(36) نورمان فيركلف: اللغة والسلطة، ص18

(37) ميشيل فوكو: إرادة المعرفة، ص101

(38) نفسه، ص102

(39) نورمان فيركلف: اللغة والسلطة، ص17/16

(40) نورمان فيركلف: اللغة والسلطة، ص: 131

(41) نفسه، ص17/16

(42) نفسه، ص119

(43) نفسه، ص121

(44) فان ديك: الخطاب والسلطة، ص85 وانظر الفصل الثالث من كتاب نورمان فيركلف: اللغة والسلطة ص69

(45) فان ديك: الخطاب والسلطة ص82

(46)Constantin Salvastru: rhétorique et politique ; p: 9

(47) فان ديك: الخطاب والسلطة، ص126

(48) ينظر، محمد شحرور: الدين والسلطة قراءة معاصرة للحاكمية، ص278

(49) فان ديك: الخطاب والسلطة، ص127

(50) في سياق اعتماد الخطاب السياسي على سلطة الصورة كسلاح فتاك لهدم المعتقدات نحيل على صورة اعتبرت المفتاح الرئيس في قلب موازين القوى والأحداث السياسية خلال سنة 2016.يتعلق الأمر بالتصويت لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوربي إذ اعتمد زعيم التيار القومي اليميني البريطاني "نايجلفاراجل" ملصقا استخدمه كخطاب لحملته الانتخابية للحث على الخروج من الاتحاد الأوربي وهو يصور طابورا طويلا من المهاجرين السوريين على حدود أوربا مع تعليق "نقطة الانهيار dhalakingbointhe EU has failed US all".ينظر مقال منال لطفي كلمة2016 الكذب السياسي " متاح على الرابط: تاريخ الدخول 2018/03/25 على الساعة 14: 23 http: //www.ahram.org.eg/News

(51) عبد الوهاب صديقي " آليات المغالطة في الخطاب الديني الفضائي إبان الربيع العربي قناة البصيرة نموذجا " ص248

(52) عماد عبد اللطيف " من الوعي إلى الفعل مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي " ص573

(53) عبد الوهاب صديقي " آليات المغالطة في الخطاب الديني الفضائي " ص247

(54) عماد عبد اللطيف "بلاغة الجمهور ودراسة الخطاب السياسي ملاحظات منهجية " ص12

(55) عماد عبد اللطيف: بلاغة الحرية، ص26

(56) عماد عبد اللطيف " من الوعي إلى الفعل مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي " ص581

المصادر والمراجع:

- **بالعربي**

1. **أرسطو:** الخطابة، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، (2008).
2. **بارت (رولان):** درس السميولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي تقديم عبد الفتاح كليطو، دار توبقال للنشر ط3، (1993).
3. **بن ظافر الشهري (عبد الهادي):** استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة ط1(2004).
4. **ديك (فان):** الخطاب والسلطة، ترجمة غيداء العلي، مراجعة وتقديم عماد عبد اللطيف المركز القومي للترجمة القاهرة ط1، (2014).
5. **شارودو (باتريك):** "حول الإقناع في الخطاب السياسي " ترجمة محمد الولي، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، بني ملال المغرب، عدد2015/6.
6. **شحرور (محمد):** الدين والسلطة قراءة معاصرة للحاكمية، دار الساقي بيروت لبنان ط1، (2016).
7. **صديقي (عبد الوهاب):** "آليات المغالطة في الخطاب الديني الفضائي إبان الربيع العربي قناة البصيرة نموذجا " ضمن كتاب البلاغة الثائرة خطاب الربيع العربي وعناصر التشكل ووسائل التأثير، إعداد وتقديم سعيد العوادي، دار شهريار العراق ط1، (2017).
8. **عبد اللطيف (عماد):** بلاغة الحرية، معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ط1، (2013).
   - "من الوعي إلى الفعل مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي " أعمال الندوة الدولية بجامعة القاهرة كلية الآداب " الخطاب وعلائق السلطة " أيام 31.29 أكتوبر 2006.
   - " بلاغة الجمهور ودراسة الخطاب السياسي ملاحظات منهجية " ضمن كتاب البلاغة الثائرة خطاب الربيع العربي عناصر التشكل ووظائف التأثير، إعداد وتقديم سعيد العوادي، دار شهريار العراق ط1، (2017).
9. **العمري (محمد):** أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، أفريقيا الشرق(2013).
   - دائرة الحوار ومزالق العنف كشف أساليب الإعنات والمغالطة مساهمة في تخليق الخطاب، أفريقيا الشرق الدار البيضاء (2002).
10. **فوكو (ميشيل):** إرادة المعرفة، ترجمة مطاع صفدي، جورج أبي صالح، مراجعة وتقديم مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي بيروت (1990).
11. **فيركلف (نورمان):** اللغة والسلطة، ترجمة محمد عناني، المركز القومي للترجمة القاهرة، ط1، (2016).

- بالأجنبي

12. **Buffon (BerTrand)** « Perlman et la relégtimation du politique » pour Perlman le renouveau de la rhétorique coordonné par Michel Mayer, presses universitaire de France 2004

13. **Salvastru (Constantin):** rhétorique et politique le pouvoir du discours et le discours du pouvoir, l'harmattan 2004

- **الشابكة**

http: //www.ahram.org.eg/News تاريخ الدخول 2018/03/25 على الساعة 23: 14